ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200 المجلد :12 / العدد : 01 / الشهر: جوان / السنة: 2020

التراث الاسلامي بين الدراسات الاستشراقية والدراسات العربية المعاصرة الجابري (أنموذجا)

islamic heiritag Outlook studies and arabo-islamic Contemporary studies Amodl aldjabiri

الطالب: الصديق علاق ، شعبة الفلسفة، جامعة سعيدة.

أ. د / محمد حفيان ، شعبة الفلسفة، جامعة سعيدة

تاريخ الإرسال: 10/ 05/ 2020	تاريخ القبول: 24/ 06/ 2020	تاريخ النشر: 30/ 06/ 2020

ملخص:

يندرج التراث ضمن جملة القضايا التي تناولتها الدراسات والمناقشات العلمية، سواء العربية أو الغربية منها، نظرا لما يكتسيه من أهمية في بلورة الوعي بالحاضر والتطلع الجيد والمستنير للمستقبل، مما طرح عدة اشكالات حول الطريقة المثلى لفهمه وفق مختلف السياقات العلمية والمنهجية التي ارتبطت دوما بأبجادياته، ونرصد هنا تلك القراءة **الجابرية** التي وصفت لدى الكثيرين بالمتفردة، يتجلى يتفردها من خلال تجاوز الجابري للدراسات الكلاسيكية الاستهلاكية كما يسميها فنجده يقدم إطاراً منهجيا متعدد الأبعاد، يمكننا من استخدام مفاهيم شتى تنتمي إلى حقول دلالية مختلفة وقوالب تصورية عديدة تسهل لنا الفهم الصحيح والدقيق للموروث الفكري والفلسفي العربي وفهمه وفق اطر علمية بحثة، ذلك لأنه أصبح من الضرورة التعامل مع تراثنا بنوع من الوعي التاريخي باعتبار هذا التراث هو جزئ من الوجود المادي والروحي لنا، وبالتالي هو جزئ من الصيرورة التاريخية .

الكلمات المفتاحية: التراث ـ المنهج ـ الايدلوجيا ـ الاستشراق ـ القطيعة الابستمولوجية ـ القراءات السلفية

Summary :

Heritage is one of the issues addressed by scientific studies and discussions, both Arab and Western, given its importance in crystallizing awareness of the present and the good and enlightened aspiration for the future.Moreover, probably the critical study carried by the modern Arab Magrebian thinker Mohamed Abed Aljabiri is a unique one especially in the domain of Arab contemporary thought; this is manifested by the transcendence of classical consumer studies as he calls it, we find a systematic multi-dimensional framework, enabling us to use various concepts belonging to different indicative fields and many conceptual templates that facilitate, correct and sharpen our understanding of The Arab intellectual and philosophical heritage and preceive it according to the scientific research because it has become necessary to deal with our heritage with some kind of historical awareness as this heritage is part of history, and therefore is part of the historical process.

Keywords : Heritage - Outlook studies –method – idoelogy –ancestral

ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200 المجلد :12 / العدد : 01 / الشهر: جوان / السنة: 2020

مقدمة:

يعتبر مشروع الجابري في استشكال العقل العربي الإسلامي من أهم المشاريع الفكرية في الساحة العربية، وهو مشروع جدير بالدراسة والتحليل نظرا لما ينطوي عليه من قضايا مهمة، ونظرا لما قدمه من إجابات للعديد من التساؤلات الكبرى التي شغلت الذهن العربي لقرون، في حين تبقى قراءته للعقل العربي داخل التراث الإسلامي من أهم القراءات الحديثة والمعاصرة، ربما يرجع ذلك إلى توظيفه لآخر ما أنتجته العلوم الإنسانية من مناهج علمية، عقب امتزاج الوعي الحضاري بالثقافات الغربية.

كما أن التراث من جملة القضايا التي تناولتها الدراسات والمناقشات العلمية، سواء العربية والغربية منها، نظرا لما يكتسيه من أهمية في بلورة الوعي بالحاضر والتطلع الجيد والمستنير للمستقبل، ولعل تلك الدراسة النقدية الكبيرة التي قام بها المفكر محمد عابد الجابري فريدة من نوعها خاصة في مجال الفكر العربي الحديث والمعاصر، يتجلى ذلك من خلال تجاوزه للدراسات الكلاسيكية الاستهلاكية كما يسميها هو، فقد حاول أن يعطي للدراسة النقدية للتراث الفكري والفلسفي، تلك السمة العلمية المنهجة التي تجعله أكثر نجاعة وأكثر قابلية للاستثمار النهضوي، فالجابري يحتل موقعا متميزا في الساحة الثقافية والفكرية العربية بوصفه مفكرا ومجددا، متحمسا وناقدا فاعلا، لذلك كثيرا ما كان يحاضر في الجامعات العربية، كما شارك في كثير من الندوات واللقاءات العلمية والفكرية في العالم العربي وإسبانيا وفرنسا، له عدة مؤلفات أهمها وأبرزها المشروع الفكري الكبير "نقد العقل العربي" بجميع أجزاءه، والذي يعتبره الكثير من الكتاب مشروع القرن. بالإضافة إلى كتاب "مدخل إلى القرآن الكريم " و"نحن والتراث" و"المشروع النهضوي العربي"، إضافة إلى حوارات علمية تتناولت مختلف القضايا العربية، جاءت على شكل مناظرات منها "حوار المشرق والمغرب " بينه وبين حنفي، وهو ما يأهل فكره بجدارة ليكون موضوعا خصبا للنقاش والتحليل النقدي البناء، وربما قد يكون هذا هو السبب الأبرز الذي جعلني أختار هذا العنوان كموضوع للدارسة، أيضا بحكم موضوعي بحثي المتعلق بالقراءات المعاصرة للفلسفة الإسلامية فقراءاته شملت اغلب الجوانب الأساسية لتراثنا الفلسفي، لا لكونها تختلف عن بعضها في المنهج والرؤيا بل لأنها تجاوزت مصطلح الدراسة والبحث الوثائقي إلى الوعي التأويلي للمقروء وجعله محايث لمحيطنا الفكري والاجتماعي والسياسي. فما هي نظرة الجابري للتراث العربي الإسلامي؟ كيف قرئ نصوص الفلسفة الإسلامية؟ وما موقفه منها؟ .

2 مفهوم التراث :

2-1 لغة :

إن كلمة التراث اتخذت أشكالا مختلفة بين معنى ومعنى آخر وذالك عبر مراحل تاريخية مختلفة حيث سنحاول أن نكشف عن هذا المعاني من الناحية اللغوية وكيف أصبحت بعدما تباين تطورها بين معاني متباينة أو مكتسبة أحيانا أخرى.

ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200 المجلد :12 / العدد : 01 / الشهر: جوان / السنة: 2020

إن كلمة "تراث" مشتقة من مادة "ورث" جاء في الصحاح "ورث أباه" و"ورث " الشيء من أبيه "يرثه" تكسر الراء فيهما و"رثا"و"وراثة"بكسر الواو في الثلاثة و"إرثا" بكسر الهمزة و"أورثه"أبوه الشيء و"ورثهُ"و"ورث فلانا، فلانا توريثا ادخله في ماله على ورثتهُ"[1].

وجاء أيضا في لفظ ورث: ورث أبا وورث منه، يرثهُ ورثاً ووراثة وإرثاً ، أورثه أبوه، وورثهُ أي جعل منه ورثتهُ وفي الدعاء "أمتعني بسمعي وبصري واجعلهُ الوارث مني" أي أبقه معي حتى أموت. وكما أن توريث النار يعني تحريكها حتى تشتعل.

والتُراث مرادف للإرث والميراث ويطلق على ما يرثهُ الشخص من مالٍ وحَسَبٍ وهكذا نجد أن بعض اللغويين فرَّقوا بين الورث والميراث على أنهما خاصَّينِ بالمال بينما الإرث خاص بالشعب.فلفظ التراث هو اقل المصادر من فعل "ورث" استعمالا وتدولاً عند العرب الذين جمعت منهم اللغة العربية.[2]

أما ما جاء في الموسوعة العربية بمعنى كلمة التراث سنجده حسب رُأى الباحثين العرب،هو لا يخرج كثيراً عن التعريفات السابقة الذكر بهذه الكلمة، **فالجابري** يرى أن اللغويين يلتمسون تفسيراً لحرف "التاء" في لفظ "تُراث" فيقولون أن أصله "واو" وعلى هذا يرى **الجابري** أن الفظ الصرفي "ورث" ثم قلبت الواو تاءً لنقل الضمة على الواو كما يرى **النحاة** على حد تعبير **الجابري**.[3]

2-2من الناحية الاصطلاحية:

. إن التراث بمعناه الأشمل هو كل ما تركه السلف للخلف بما فيها الماديات والمعنويات أيًا كان نوعها أو شكلها، بمعنى كلما تخلّفه الأجيال من أعمال وإنتاجيات فكرية وحضارية، فالتراث يشمل ما تراكم من تجارب وفنون وعلوم لدى الشعوب خلال أزمنة معينة، يعرف الجابري التراث العربي الإسلامي بقوله: "هو مجموع العقائد والتشريعات والمعارف المعبر عنها في لغة تحملها وبأطرها..... والمتكونة في عصر التدوين وامتداداته التي توقفت آخر تموجاتها مع قيام الإمبراطورية العثمانية في القرن العاشر للهجرة "[4] فهذا هو المقصود بالتراث كما يتحدد داخل الخطاب النهضوي العربي المعاصر وبذلك يكون في صورة أساسية متمثلة في العقيدة ـ الشريعة ـ اللغة ـ الأدب ـ الفن ـ الفلسفة والتصوف وكل ما جادت به قريحة الذات العربية المبدعة في شتى مجالات المعرفة الإنسانية والتالي يكون مفهوم التراث هو الماضي ممتد فينا. ومن هذا يتبين أن التراث عند الجابري يقتصر على الجانب الفكري و المكتوب، فنجد أن لفظ " التراث" اكتسى في معجم الخطاب العربي المعاصر معنى متباينا لمعناه في الاصطلاح القديم، ذلك أنه إذا كان معنى التراث في الماضي يعني "التركة" كما أشرنا في المفهوم اللغوي للتراث، وأصبح يشير اليوم إلى ما هو مشترك بين العرب أي التركة الفكرية والروحية التي تجمع بينهم، لتجعل بالتالي العرب جميعهم خلف لسلف وهكذا فإن "الإرث "أو "الميراث" هو عنوان اختفاء الأب وحلول الابن محلـه، إذن فالتراث قد أصبح بالنسبة للوعي العربي المعاصر عنواناً على حضور الأب في الابن و حضور السلف في الخلف وحضور الماضي في الحاضر.[5] ومن هذه الفكرة المركزية يتبادر إلى ذهننا إشكالية مفادها أن الأدوار الإلهية تدخل في إطار التراث، بمعنى؛ ما موقع المقدس(القرءان

ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200 المجلد :12 / العدد : 01 / الشهر: جوان / السنة: 2020

والسنة) من هكذا تصنيف ؟ وهو سؤال شائك أسال الكثير من الحبر، أم أن اعتبار التراث منجز تاريخي من صنع الإنسان كفيل بتجاوز هذه أللإشكالية ؟.

. ولحل هذه الإشكالية يجب أن نفرق بين مسألتين: الدين من ناحية والفكر الديني من ناحية أخرى، فالدين أو كلام الله ليس منجز للتراث أو صانعاً له. ومن هنا يجب عدم وضع الكتاب المقدس والحديث الشريف في التراث أما فيما يخص الفكر الذي يعني إعمال الفعل الإنساني، فهو الذي يدخل في التراث ولهذا فإننا نميز تمييزا فاصلا بين المستوى الإلهي المتمثل في ما ذكرناه آنفا، والمستوى الإنساني للتراث الذي قد يحتوي في بعض الأحيان قراءات أو أفكار واردة في المستوى الأول من حيث المعنى لا اللفظ اقصد هنا. فالأول هو المعصوم كما ورد في قوله تعالى "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم"[6] أما المستوى الثاني وهو الذي يقوم على ما جادت به القريحة العربية من آثار فكرية تصلح للتعبير بطريقة أو بأخرى عن الذات العربية وتكون دالة على صناعة العقل الذي يعبر عن نفسه في مجالات عدة مثل الفن والفلسفة والأدب والعلم رغم عدم قدرته التحرر من سلطان العرف الداخلي للمجتمع والسياج الايدولوجي للفكر. ربما هو ما جعل المتتبع والقارئ للفكر العربي المعاصر يجد أن أغلب ما يقرأ في التراث يخرج من منطلقات إيديولوجية الأمر الذي يفقد هذه القراءة صفة الموضوعية ويدخل بها نوع من الشكوك ويجعلها متحيزة لبعض الاتجاهات الفكرية في الماضي دون الأخرى .[7] وعلى سبيل المثال نجد من ينحاز إلى مدرسة ما كالثنائية أو الماركسية نجدهم لا يرو ن في التراث العربي الإسلامي سوى صراع طبقي يحكمه التفسير الاقتصادي للتاريخ، من كل هذا نقف في حيرة أمام تعريف جامع للتراث لذالك فهناك تعريفات عديدة للتراث.

فاركون يعرفه: بأنه كل تراث فكري كلي (سنة,شيعة,خوارج) وهو يشمل بالإضافة إلى التراث المكتوب، التراث الشفوي أو الشعبي والتراث الخاص بالأقليات دون بتر أو تمييز أو تهميش مقصود أو غير مقصود[8]. وبالتالي لابد من وضع التراث كله موضع بحث ونقد وتقويم في ضوء الاكتشافات الجديدة. أما زكي نجيب محمود فيرى أن التراث هو الماضي الثقافي كله والأصل هو الجانب الناضج من هذا التراث القادر على التأثير في مجرى الحياة الحاضرة[9] فهنا نلمس النزعة الانتقائية للتعامل مع التراث أما من الجانب الأخر فنجد بعض المفكرين العرب يذهبون إلى القول بأن التراث يشمل الماضي بشقيه المقدس وغير المقدس رافضين بأن لا يكون المقدس جزءا من التراث كما يظهر للبعض. فالطيب تزيني يعرف التراث بقوله:"هو كل حدث أو إنتاج إنساني داخل الماضي وأصبح جزءا منه وببعده الثاني يبرز التراث باعتباره التاريخ الماضي مستمرا وممتداً حتى الحاضر.[10] وهذا ما يعطينا الانطباع العام حول صعوبة التحديد الدقيق لهذا المفهوم وما طبيعة الأسس والمقاييس التي نحدد وفقها ماهيته.

2 في كيفية التعامل مع التراث :

المجلد :12 / العدد : 01 / الشهر: جوان / السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

"إن الموضوع الذي نتعامل معه هو النص العربي هو التراث العربي الإسلامي والعقل الكامن فيه. واعتقد أن النقد الناجح لهذا الموضوع هو الذي يتحرر من هاجس العمل مثل"الآخرين"أو النسج على منوالهم، هكذا بصورة جزافية شعورية وبرغبة "صيانته" وكل ما أتعبني في عملي حقا هو حرصي على التحرر من مثل هده الرغبة "[11] لقد ارتأيت أن أبدا بهذا التصريح لمحمد عابد الجابري لما نلمس فيه من إصرارا واضحا على تقديم قراءة معاصرة للتراث تستجيب والتحديات المعاصرة والنظم الفكرية التي تواكب الدراسات العلمية الحديثة وذالك من خلال رفضه"للنسج على منوال الآخر" ففي نظره القضية لا تتعلق فقط باختيار منهج نظري بغية التصدي لذات الموضوع فحسب بل ضرورة الفصل بين المحتوى المعرفي والمضمون الايدولوجي للفلسفة الإسلامية وهو وضع يفرضه علينا تاريخ الفلسفة الإسلامية في إطار السياق العام للفلسفة عموما، نظرا للارتباط التاريخي للفلسفة الإسلامية بنظيرتها اليونانية من جهة ونظرا للدور البارز للحركة السياسية والايدولوجة في بلورة فكر العديد من الفلاسفة المسلمين. ويبدوا أن إصرار الجابري على تقديمه لما هو جديد قد دفعه بداية إلى مراجعة الخطاب العربي المعاصر ونقده، قبل أن ينقد التراث لان هذا الخطاب برأيه "لم يمارس النقد بسبب عوامل عدة أهمها هيمنة التراث بقوة على العقل العربي وحضور الآخر(الغرب) في الحياة الفكرية السياسية حضورا قامعاً يجبر العرب على الرجوع قدما إلى الوراء. يرى مفكرنا أن مراجعة الفكر ونقده أمران ضروريان يؤمنان بالنجاح لأي مشروع نهضوي"[12] وبالتالي فان التطلع إلى نهضة أو فكر نهوضي خارج هذا الإطار يظل بعيدا المنال في نظر الجابري فلقد بقي التراث الإسلامي كما يقول دون إعادة تأسيس مما صعب أو جعل من الصعب أن تؤسس عليه نهضة عربية متينة تأتي بثمار فكرية واعدة. وهو ما يستدعى ضرورة الطرح الابستمولوجي في سبيل تجاوز الطرح الايدولوجي الذي اثبت فشله الذر يع وهو جدير في نظره بتحديث العقل العربي من خلال التساؤلات الكبرى التي يطرحها بالنسبة لوضعيتنا الثقافية والاجتماعية الراهنة، كذالك أن تفوق الغرب وبلوغه حدا عاليا من التطور، قد مكنه من ممارسة نوع من القمعية خلال استعماره للدول الأخرى، وهو ما يسميه الجابري"بغرب الأنوار"من جهة، و"غرب الاستعمار" من جهة أخرى وعندما طغى مد الأخير، دفع بالعرب إلى التمسك أكثر بهويتهم، من أجل المحافظة على الذات العربية في مقابل الهجمات الصليبية الغربية الممنهجة والمتتالية، وهو ما تجسده الحركات الإصلاحية في مختلف بلدان الوطن العربي، هنا يقترح الجابري طريقة جديدة للتعامل مع التراث، تقوم على الموضوعية التي تفصل بين الذات والموضوع ، لكي تحقق رؤية الأشياء كما هي، وبما أن التراث ينتمي إلى الماضي كان من الضروري قراءته قراءة علمية مرتكزة على قدر كبير من المعقولية والموضوعية، إن اختيار مفكرنا هذا النوع من القراءة ليس ناتجا عن رغبة ذاتية ، وإنما طبيعة الموضوع الذي يدرسه هي التي أملت عليه ذلك أي التراث.

2-1القطيعة الابستمولوجية :

ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200 المجلد :12 / العدد : 01 / الشهر: جوان / السنة: 2020

- إن مفهوم القطيعة الابستمولوجية لدى الجابري لا تعني إقامة قطيعة مع التراث العربي بالمعني اللغوي الدارج للكلمة وإدخاله إلى المتحف والأرشيف كمعطى تاريخي أكل عليه الدهر وشرب، لأن هذا يعني إخضاعه لفاعلية النقد التاريخي الهدام وإخراجه من دائرة الاهتمام الإنساني، وجعله معطي "ميكانيكي"، بعيدا كل البعد عن الشكل العلمي والتاريخي الحقيقي المفترض لمفهوم التراث، الذي هو جوهره سواء كان مصدره الشرق أو الغرب، بابل أو أثينا .

فالقطيعة الابستمولوجية هي تناول للنشاط الذي يقوم به العقل بواسطة الأدوات والمفاهيم المستنجد بها في سبيل الوقوف على ماضي النص الفلسفي و الفكري التراثي بفضل "العقل الفعلي" والعقل الفعلي نشاط يتم بطريقة ما وبواسطة أدوات ومفاهيم، وداخل حقل معرفي معين يتصل بموضوع المعرفة هو هو ولكن طريقة معالجته والأدوات الذهنية التي تعتمدها هذه المعالجة، والإشكالية التي توجهها والحقل المعرفي الذي تتم بداخله قد تختلف "[13] طبعا يحدث هذا وفق اختلافات وتغيرات متشعبة، ولا يمكننا الحديث عن القطيعة الابستمولوجية إلا في حالة الوصول إلى الاختلاف العميق والجذري الذي لا رجعة فيه، فالدعوة هنا ليست للقطيعة مع النص بدلالتها اللغوية، وإنما دعوة إلى التخلي عن الفهم التراثي للنص بمعني إبعاده عن ما يسميه الجابري بالرواسب التراثية التي تعيق حركتنا في أروقة النص المراد التصدي له مهما كانت طبيعته، في مقدمتها "القياس" كمنهج للبحث عن الحقيقة والمعرفة في شتى مجالاتها (النحوية ـ الفقهية ـ الكلامية) باعتبار القياس آلية لا علمية" ميكانيكية " قائمة على استخلاص الجزء من الكل بعد تفكيك الكل وتجزئته زمنيا ومعرفيا وحتى ايدولوجيا "إن القياس بهذا الشكل إذ يفصل الأجزاء عن الكل الذي تنتمي إليه ينقلها إلى "كل آخر " هو الحقل الذي ينتمي إليه المستعمل لذلك القياس مما ينشأ تداخل بين الذات والموضوع ..... وقد يكون الموضوع هو التراث الذات "[14] فاندماج الذات في التراث هو لب الإشكال والمعضلة الكبرى، قد تحولنا إلى كائنات تراثية بدل كائنات لها تراث وتصبح علاقاتنا مع التراث علاقة مراقب لا فاعل كما هو مفترض، فالقطيعة الابستمولوجية دورها الحيلولة دون حدوث هذا وإنقاذ العلاقة بين الذات والموضوع من الشلل الفكري الذي قد يصيبها، ومنح الذات نوع من الحرية والاستقلالية التي تمكنها وتؤهلها من جعل الموضوع ممكن الدراسة، متاحا للنقد البناء في سبيل سبر أغواره وإخراج مكتنزاته، من جهة أخرى تصبح أحد مكونات الشخصية التراثية في الوقت ذاته، فقد يتبادر إلى ذهن الكثير من القراء من خلال مصطلح القطيعة الابستمولوجية الذي استعمله محمد عابد الجابري مع التراث انه يدعو إلى قطيعة نهائية مع كل ما يمد بصلة إلى التراث العربي والإسلامي ولكن الأمر مخالف لذالك تماماً " فالجابري يستبعد المفهوم المبتذل الذي يستخدمه العامة وبعض المثقفين لمفهوم القطيعة والذي يعني التخلص من التراث جملة وتفصيلا" [15] وتأسيسا على هذا القول فإن ما يدعوا إليه الجابري ليس القطيعة مع التراث بقدر ما يدعو إلى التخلص من الفهم التراثي للتراث.للطريقة التي تنطلق منها السلفية الدينية وغيرها من السلفيات الأخرى في قراءة التراث ذلك أنه

ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200 المجلد :12 / العدد : 01 / الشهر: جوان / السنة: 2020

على حسب قوله أن القراءة السلفية للتراث لا تاريخية وبالتالي فهي لا يمكن أن تنتج سوى فهم واحد هو الفهم التراثي للتراث كما يسميه في كتابه "نحن والتراث " وعلى هذا النحو فإن القطيعة ليس بالمعنى الثقافي أو السياسي أو الحضاري وإنما هي تتناول المنهج والمفاهيم والإشكاليات التي بها نفهم التراث ونوظفه مستقبلاً أو بعبارة أخرى لا تعني القطيعة في الموضوع وإنما القطيعة في فهم الموضوع أي في طريقة التفكير في الموضوع نفسه .

2-2 فصل التراث (أو) مشكلة الموضوعية:

ـ وهي الخطوة الثانية بعد القطيعة مع الفهم التراثي للتراث وتتمثل في إرساء عملية فصل مزدوجة بين الذات والموضوع (فصل الموضوع عن الذات وفصل الذات عن الموضوع)من أجل تحرير الذات من هيمنة النص التراثي وهو ما يحقق من خلاله منهج ثلاثي في نظر الجابري.

. أ . المعالجة البنيوية: ويقصد بها الجابري النظر في دراسة التراث والنصوص كما هي معطاة لنا، إن هذا يعني ضرورة وضع جميع أنواع الفهم السابق لقضايا التراث بين قوسين، والاقتصار على التعامل مع النصوص، كمدونة ككل تتحكم فيه ثوابت معينة، وبالتالي يجب التحرر من الفهم الذي تؤسسه المسبوقات التراثية أو الرغبات الحاضرة، والانصراف إلى مهمة واحدة هي إعادة استخلاص واستخراج معنى النص من النص نفسه مادام التراث يقدم لنا نفسه بصورة منتظمة ومركبة تحتاج إلى تفكيك ممنهج لمكتنزات النص التوارثي فاستخراج معنى النص يعني سبر أغواره ومعرفة مكنوناته، واستخلاص معانيه يعني عصرنه مصطلحا ته وألفاظه على الصورة التي تمكننا من الاتصال المباشر مع ماضينا في بعده المعنوي المنشود.

. ب . التحليل التاريخي: ينظر إلى التحليل التاريخي من خلال النص الذي أعيد تنظيمه أثناء المعالجة البنيوية أي بعد التفكيك وربطه بمجاله التاريخي بكل أبعاده الثقافية والسياسية والاجتماعية إن هذا التفكيك ضروري لفهم تاريخية الفكر المدروس وجينيا وضروري لاختيار صحة النموذج البنيوي، بل المقصود هنا ليس الصدق المنطقي، وذلك ما يجب الحرص عليه في المعالجة البنيوية، بل المقصود الإمكان التاريخي أو التحليل التاريخي الذي يسميه الجابري بالمخبر.

ج . الطرح الايدولوجي : إن الطرح التاريخي سيظل ناقصا، صوريا، مجردا، ما لم يسعفه الطرح الايدولوجي، أي الكشف عن الوظيفة الايدولوجية(السياسية والاجتماعية) التي أداها الفكر المعني، والذي ينتمي إليه، يتعلق الأمر بنزع القوسين عن الفترة التاريخية التي ينتمي إليها النص والتي أخذت حين المعالجة البنيوية كـ"زمان " ممتد وإعادة الحياة إليها إن الكشف عن المضمون الايدويوجي لفكر

المجلد :12 / العدد : 01 / الشهر: جوان / السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

ما هو الوسيلة الوحيدة لجعله معاصرا لنفسه مرتبطا بعالمه.[16] قادرا على الاحتكاك الأمثل والبناء مع معطياته الفكرية والايدولوجية والتاريخية .

2-3وصل التراث (أو) مشكل الاستمرارية :

واللحظة التالية بعد الانفصال لحظة الاتصال والتواصل مع التراث يقول الجابري" إن التراث جزءاً منا أخرجناه من ذواتنا وليس بعيدا عنا لنتفرج عليه تفرج الانثربولوجي في منشآته الحضارية والبنيوية و لا نتأمله تأمل الفيلسوف لأطروحته الفكرية المجردة، بل فصلناه عنا من أجل أن نجعله معاصراً لنا على صعيد الفهم والمعقولية، وأيضا على صعيد التوظيف سيتم بروح نقدية ومن منظور عقلي[17] ومن خلال ما سبق نجد الجابري يقدم إطاراً منهجيا متعدد الأبعاد، يمكنه من استخدام مفاهيم شتى تنتمي إلى حقول دلالية مختلفة وقوالب تصورية عديدة يقول موضحا ذالك " أننا لا نتقيد في توظيفنا لتلك المفاهيم بنفس الحدود والقيود التي تؤطرها في إطارها المرجعي الأصلي، بل كثير ما نتعامل معها بحرية واسعة ذالك أننا لا نعتبر هذه المفاهيم قوالب نهائية، بل فقط أدوات للعمل يجب استعمالها في كل موضوع بالكيفية التي تجعلها منتجة"[18] ولاشك أن الجابري قد استقى فكرة الفصل والوصل مع التراث من واقع الفكر الغربي الحديث ذلك لأنه يرى أن الفكر الأوروبي الحديث جعل تاريخه الثقافي صيرورة بمعنى حلقة من سلسلة متصلة السابق فيها يفسر اللاحق و يؤسسه واللاحق فيها يغني السابق و يوضحه من هذا نجده يقول : " منذ أن دعا بيكون إلى التحرر من جميع الأوهام (أوهام القبيلة و أوهام الكهف و أوهام السوق و أوهام المسرح) واعتماد التجربة منطلقا و معبرا. وعلى هذا النحو فإن التراث في الفكر الأوروبي الحديث، يقوم على فكرة الفصل والوصل مع التراث لذالك لا نجد من مفكر يقول بفكرة جديدة في الميادين الثقافية المختلفة إلا وكانت تسجل نوعا من الاتصال مع التراث ولكن هذا الفصل يعني وجود أفكار جديدة هذه الأفكار تتجه إلى جسر جديد ويتم عبره نوع جديد من الاتصال بالتراث وهذا ما يعبر عنه الجابري **بالتجديد من الداخل** وبعبارة أخرى إعادة قراءته وإعادة ترتيب العلاقة بين أجزائه ومن تم البحث عن الجديد بين أحشائه بصورة تجعل الواحد منها يغني الأخر ويوضحه، ويلهم الفكر الأخلاقي ويؤسسه، "ولذلك كان الفكر الأوروبي ولا يزال يتجدد من داخل تراثه وفي الوقت نفسه يعمل على تجديد التراث بإعادة بناء مواده القيمة، وإعادته بمواد جديدة "[19] من هذا المنطلق نجد الجابري يدعو إلى التعامل مع التراث (العربي الإسلامي كالتراث الغربي)على أساس هذا المنهج بمعنى بالقراءة المبنية على الفصل والوصل عند قراءتنا للتراث حتى يتم تجاوزه وهذا لا يعني الرفض المطلق وإنما الاستيعاب والارتفاع والإبداع إلى مستوى أرقى. أما في ما يخص مشكل الاستمرارية فإنه يدعوا إلى وصل القارئ بالمقروء أي الذات بالموضوع التراث بالدارس، ولا يتم ذلك إلا بواسطة اختراق حدود اللغة والمنطق بواسطة الحدس فهو وحده الذي يمكن الذات القارئة من معانقة الذات المقروءة فتعيش معها إشكالاتها ومشاغلها وتحاول أن تطل على

ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200 المجلد :12 / العدد : 01 / الشهر: جوان / السنة: 2020

إستشرافيتها، الذات القارئة تحاول قراءة أو رؤية نفسها في الذات المقروءة ولكن مع الاحتفاظ لهذه الأخيرة بكيانها الذاتي كاملا مستقلا الشيء الذي يعني أن الذات القارئة تبقى محتفظة بوعيها وبكامل شخصيتها[20] مما يبعدها عن المشكل الآخر المتمثل في الانغماس في الموضوع الشيء الذي يفقدها قدرتها على الحوار الفعال معه (كائنات تراثية)، إلا أن الحدس الذي يتحدث عنه الجابري لا يقصد به الحدس الصوفي البرغسوني أو الشخصاني ولا الحدس الفينومولوجي حتى، إنه الحدس الرياضي الذي يملك رؤية ريادية وقدرة استكشافية مصاحبة لحوار جدلي، بين الذات القارئة والذات المقروءة، حوار ينتهي باستخلاص نتائج وتسجيل ملاحظات مهمة في سبيل الوصول إلى ما تخفيه الذات المقروءة والذي لم تبح به بعد .

3 القراءات الاستشراقية للتراث:

"يجب أن نكون واعيين بأن اهتمامات المستشرقين بهذا التراث، سواء على مستوى التحقيق والنشر، أو على مستوى الدراسة والبحث، لم يكن في أي حال من الأحوال، ولا في وقت من الأوقات من أجلنا نحن العرب المسلمين، بل كان دوما من أجلهم هم. ولهذا فقد بدت الصورة الرائعة في الساحة الفكرية العربية الراهنة عن التراث العربي الإسلامي، سواء منها ما كتب بأقلام المستشرقين، أو ما صنف بأقلام من سار على نهجهم من الباحثين والكتاب العرب، صورة تابعة تعكس مظهرا من مظاهر التبعية الثقافية على الصعيد المنهج والرؤية " هذا النص للجابري يلخص الموقف الفكري له من الدراسات الإستشراقية و يبين فيه العلاقة الكامنة بين الاستشراق كظاهرة فلسفية له أبعاد ايدولوجية وسياسية وثقافية و الاستشراق يصور لنا نفسه على أنه منهج علمي يوظف آليات البحث في خدمة التراث الإنساني، والتي في الحقيقة كانت متخندقة داخل النزعة المركزية الأوروبية، وجعلت من التاريخ الأوروبي معطي تاريخي ومرجعا أساسيا لفهم التراث العربي لأن العرب لم يكونوا سوى واسطة بين الحضارة اليونانية والحضارة الغربية الحديثة، ولهذا كان تفكيرهم شمولي استند للمنهج التاريخي في تحقيقه للتراث العربي، فربط الفلسفة الإسلامية بالفلسفة اليونانية وارجع النحو العربي إلى مدارس النحو اليونانية ولا مشكلة لديهم في اعتبار الفقه الإسلامي امتداد للقانون الروماني .

ورغم هذا التدليل التاريخي الذي قدمه الجابري حول الاستشراق وعنصريته اتجاه الفلسفة الإسلامية خاصة والتراث العربي عموما، إلا انه وكغيره من المفكرين العرب من دعاة الحداثة لم يتمكنوا من النأي بأنفسهم عن تأثير الاستشراق وهو ما ذهب إليه محمد أركون حين قال أن " اغلب الكتاب إذ ينتقدون المستشرقين لا يأخذون بعين الاعتبار أنهم هم أيضا ينتمون إلى نفس منهجية العلم الغربي، ولكن لأنهم يتكلمون باسم العرب والمسلمين، فهم يعتقدون أنهم بمنأى عن الزلل."[21] فالجابري نفسه جعل من ابن رشد مجرد وسيط بين الفلسفة اليونانية والفلسفة الغربية الحديثة، وهي رؤية إستشراقية بحتة نجدها خاصة عند كبار المستشرقين من أمثال **أرنست رينان** حين قال " الشرق السامي والقرون الوسطى مدينان لليونان بكل ما عندها من الفلسفة ضبطا، ولذا فان ما دار الأمر

ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200 المجلد :12 / العدد : 01 / الشهر: جوان / السنة: 2020

حول اختيار حجة لنا في الماضي كانت الفلسفة اليونانية وحدها حق إلقاء الدروس علينا، لهذه الفلسفة اليونانية المخلصة في تعبيرها، الخالصة الكلاسيكية لا يونانية مصر ولا يونانية سوريا التي شوهت بخلط من العناصر الغليظة "[22]كما يتجلى اثر الاستشراق عليه في تحليله لنظم المعرفة العربية من خلال إسنادها إلى البيان . تلك المعرفة التي تشمل العلوم اللغوية والدينية معا. والتي سماها بالمنتج المعرفي الخالص للعرب المسلمين فيعتبرها من بين العاهات المزمنة التي أصابت العقل العربي التي أنتجت القياس بأنواعه خاصة في علم أصول الفقه، مثال ذالك قياس الغائب على الشاهد في علم الكلام، الذي يقف عائقا أمام ابتكار معارف جديدة لأن العقل مجبر بالرجوع إلى أصل الحكم، كما عاب عليهم طريقة تصورهم لمصطلح الزمان والمكان وربطهما فرضا بفاعليتهما الفطرية فلا يمكن تصور احدهما خارج فاعليته المفترضة بالضرورة، فلا وجود للانفصال في علاقة بين الأسباب والمسببات، ولهذا ركز على القول بالانفصال باعتباره الآلية الابستمولوجية للعقل البياني وهنا نجده يتبنى نفس الفكرة التي ذهب إليها **ماس نيون، ولويس جارديه**، في تعميم مفهوم الاشاعرة للزمان والتعامل معه ككائن منفصل عطفا على مبدأ الجوهر الفرد في فكرهم.

- وفي حديثه عن العرفان يستند الجابري على أقوال الباحث الفرنسي **فيستو جير** عن الهرمسية فصنف العرفان على انه نظام معرفي قائم على الكشف والذوق وعلى المفاهيم الهرمسية في إدراك حقيقة الوجود، وعلى الإيمان بالسيمياء والتنجيم لا على العقل والمعرفة، كما يعتقد انتقال هذا النموذج إلى الوسط الإسلامي والى الثقافة العربية الإسلامية من ثقافات الشرق الاذنى (مصر، سوريا، فلسطين والعراق). ويضيف أيضا أن هذه المعارف وصلت إلى العقل العربي في الفترة التي تدهور فيها الفكر اليوناني حين تأثر بالفكر الشرقي القديم وهنا تقريبا الجابري يكرر كلام كبار المستشرقين على غرار **هنري كوربان، وماسي نيون، ونيكل سون، ولويس جرديه** في حكمهم على التصوف الإسلامي بغية إخراجه من سبغته الإسلامية وإبعاده عن أي مصدر داخلي من الإسلام في حين يذهب البعض إلى القول أن الجابري كان أكثر قسوة على التصوف والعرفان من المستشرقين أنفسهم .

1-3 السلفية الاستشراقية :

الجابري يقول أن "السلفية الاستشراقية" تدعي أن ما يهمها هو الفهم والمعرفة وأنها لا تأخذ من الفكر الاستشراقي سوى منهجه العلمي في حين أنها تترك أيديولوجيته، في حين أنها تنسى أو تتناسى أن الرؤية أو المعرفة و المنهج لا يمكن الفصل بينهما، فالرؤية الاستشراقية معروفة عنها أنها تقوم من الناحية المنهجية على معارضات الثقافات أو بعبارة على قراءة التراث بالتراث ذاته و هذا ما يعرف بالمنهج الفيلولوجي الذي يجتهد في رد كل شيء إلى أصله و من هنا " عندما يكون المقروء هو التراث الإسلامي فان مهمة القراءة تنحصر حينئذ في رده إلى أصوله اليهودية والمسيحية و الفارسية و اليونانية و الهندية"[23] وهنا يكمن المشكل فهل كان العقل العربي إلا مقلدا. إن العملية الاستشراقية خاصة

ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200 المجلد :12 / العدد : 01 / الشهر: جوان / السنة: 2020

السلفية منها في نظر الجابري تبدو أكثر خطرا من الفكر الغربي في ذاته خاصة بعد انكشاف داخل دعوى المعاصرة في الفكر الليبرالي العربي الحديث عن استلاب لذات خطيرة للذات لا يصفها حاضرا مختلفا بل أيضا مستقبلا حتميا وهذا هو الأخطر بوصفها تاريخا وحضارة.

4الخاتمة:

- **كيف نتعامل مع تراثنا ؟ أو كيف نعيش عصرنا ؟**

لا شك أنه بعد تحديدنا لمفهوم التراث وماهيته ومحاولتنا معرفة خصوصيته وحيثياته صار من الضروري علينا معرفة الكيفية السليمة التي يجب العيش بها إلى جوار هذا التراث الهائل، أو بالأحرى كيف نحاول تكييفه مع مستجدات عصرنا، سؤالان يتضمن كل منهما الآخر ويشكلان ارتباط وثيق بينهما، وكذلك قد شكلا أحد المحاور الرئيسية في إشكاليات الفكر العربي الحديث والمعاصر من خلال ما يعرف بالأصالة و المعاصرة " وينظر الليبرالي العربي إلى التراث العربي الإسلامي من الحاضر الذي يحييه حاضر الغرب الأوربي، فيقرأه قراءة غربية النزعة أي ينظر إليه ضمن منظومة مرجعية أروبية و لذلك فهو لا يرى فيه إلا ما يراه الأوربي"[24] هنا يتعلق الأمر بالقراءة الاستشراقية امتدادا شكليا "للسلفية الاستشراقية" كما يسميها الجابري فهي تقدم نفسها على أنها قراءة علمية تتوخى الموضوعية و تلزم الحياد وتنفي أن تكون لها أية دوافع نفعية أو أهداف إيديولوجية تنقص من شأن تبعيتها العلمية التي ترجوها من خلال أبحاثها، خاصة في الوطن العربي المعروف عن تحفظه عن كل ما هو استشراقي كيف ما كانت أغراضه. يذهب الجابري هنا إلى أبعد من ذلك، إلى ضرورة التعامل مع تراثنا بنوع من الوعي التاريخي باعتبار هذا التراث هو جزئ من التاريخ، وبالتالي هو جزئ من الصيرورة التاريخية، وبما أن المضمون الايدولوجي هو وحده الذي يملك تاريخ عكس المضمون المعرفي، لان الأول ينعكس في صيرورة المجتمع ويتجلى في مختلف اللحظات التي يعبر فيها التاريخ عن ذاته، ولهذا تكون اللحظة الايدولوجية هي الصانعة للصيرورة التاريخية، وفي تراثنا الإسلامي تتجلى هذه اللحظة في فلسفة ابن رشد، فيما تمثل فلسفة ابن سينا اللحظة المعرفية المفقودة سلفا، وهي اللحظة التي يسميها (بحلم الفارابي الذي عاشه ابن سينا). وهنا يؤكد على أننا نحن العرب قضينا حياتنا بعد ابن رشد (خارج التاريخ) في جمود وانحطاط لا مثيل له، لأننا تمسكنا بلحظة ابن سينا "فلقد ميزنا في الصيرورة بين لحظتين ألغت الثانية منهما الأولى وقطعت معها هي لحظة حلم ابن ماجة كما طورها ابن رشد، فما تبقى من تراثنا لا يمكنه أن ينتمي إلى اللحظة الأولى لأن الثانية ألغتها تاريخيا " وفي الوقت الذي تمسكنا نحن بلحظة ابن سينا بعد أن ادخلها الغزالي في الإسلام وأخرجنا من التاريخ، تبنى الغرب و الأوروبيون لحظة ابن رشد فعاشوها على حقيقتها وبنو بها التاريخ ودخلوا إليه، ومن هنا ما بقي من تراثنا الفلسفي ويصلح أن يكون قادر لبعث الحياة ومعاصرا لنا في الوقت نفسه هو ما كان رشدي منه فقط لسببين جوهرين:

ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200 المجلد :12 / العدد : 01 / الشهر: جوان / السنة: 2020

ـ أن بن رشد أقام القطيعة مع الفلسفة السنوية ذات التوجه المشرقي والتي تبناها الغزالي و السهر وردي واصبغوها بصبغة الإسلام في شكل العرفان الإسلامي أو التصوف السني وساعد الغزالي في ذلك تبنيه للمذهب الأشعري الذي يلقى قبولا لدي جموع المسلمين بعد الرفض الذي لاقاه التصوف لدى المسلمين نظرا لبعدها عن تعاليم الإسلام، وقدمت كبديل عن الفلسفة الأرسطية، وهو تناقض جليل في نظر الجابري وتهافت [25] "لأن سنة الرسول لم تعرف التصوف قط وهو لم يكن متصوفا بل كان يمارس الحياة بكل وسائل الحياة المشروعة، والمشروعية التي كان يحتكم إليها الإسلام على عهد النبي لم تكن غيبية بل كانت واقعية عقلانية. إن الخطاب لقرءاني هو خطاب عقل وليس خطاب غنوص أو "عرفان " أو إشراق.

ـ ابن رشد استطاع تجاوز السينية أيضا من خلال تجاوز المعالجة الثنائية للفكر النظري على شاكلة الكلام ـ الفلسفة. العلاقة بين الدين والفلسفة أو عن طريق الدمج بينهما في ما يسمى التوفيق بين العقل والنقل الشريعة والحكمة، وبما أن القطيعة الحقيقية والبناءة مع ظاهرة لا تكون إلا بتقديم البديل، فجاء البديل بمحاولة فهم الدين داخل الدين ذاته و بواسطة معطياته وفهم الفلسفة داخل الفلسفة وبواسطة مقدماتها ومقاصدها وهو السبيل الوحيد إلى بعث العقل العربي من جديد، وجعله قادرا على فهم تراثه وربط به من جهة وربطه مع الفكر العالمي من جهة ثانية، فنبنى علاقتنا مع تراثنا على هذا الأساس فنأصل لتاريخنا وأصالتنا ونستثمر في تراثنا بالشكل الذي يجعله معاصرا لنا ومقدما حلولا لمشكلاتنا اليومية .

5. الهوامش:

[1] ابن منظور– لسان العرب المجلد الثاني،دار صادر،الطبعة السادسة.1997 بيروت ص201

[2] فارح مسرحي.الحداثة في فكر محمد اركون.الدار العربية للعلوم– الجزائر–ط1 سنة2006 ص88

[3] محمد عابد الجابري.التراث والحداثة .مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت،ب ط–1991ص22

[4] محمد عابد الجابري التراث والحداثة ص24

[5] محمد عابد الجابري التراث والحداثة ، مرجع سابق ص25

[6] سورة الاحزاب الآية 36

[7] علي رحمون سحنون إشكاليات التراث والحداث في الفكر العربي المعاصر مرجع سابق ص164

[8] اركون محمد الفكر الاسلامي ,ترجمة هشام صالح.مركز الانماء القومي بيروت 1987 ص113

[9] علي رحمون سحنون ص23

[10] فارح مسرحي الحداثة في فكر محمد أركون مرجع سابق ص 91

[11] التراث والحداثة ‘مرجع سابق ص29

[12] د.نايلة ابي نادر ـالتراث والمنهج بين اركون والجابري ,المكتبة العربية للابحاث والنشر ط1 ص59

[13] الجابري ,محمد عابد، نحن والتراث . المركز الثقافي العربي . الطبعة السادسة . سنة1993 ص 20

[14] الجابري ,محمد عابد، نحن والتراث مرجع سابق ص20

[15] علي رحمون سحنون إشكاليات التراث والحداثة في الفكر العربي المعاصر مرجع سابق ص159

ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200 المجلد :12 / العدد : 01 / الشهر: جوان / السنة: 2020

[16] نحن والتراث مرجع سابق ص24

[17] محمد عابد الجابري . التراث والمنهج ,الدار البيضاء.دار توبقا للنشر ص67

[18] محمد عابد الجابري . التراث والمنهج مرجع سابق ص67

[19] محمد عابد الجابري . نحن و التراث , المركز الثقافي العربي , الطبعة السادسة ص:86

[20] محمد عابد الجابري ص25

[21] د احمد محمد السالم , مقال بعنوان قراة الجابري للعقل العربي أثر الاستشراق عليها المجلة العربية ,العدد508 بتاريخ .20122202

[22] د احمد محمد السالم ,نفس المقال .

[23] محمد عابد الجابري نحن و التراث . المرجع السابق ص

[24] نحن والتراث مرجع سابق ص13

[25] المرجع نفسه ص51

6 قائمة المصادر و المراجع:

1 ـ أبي ناذر نايلة ـ االتراث والمنهج بين أركون والجابري ,الشبكة العربية للأبحاث والنشر بيروت, الطبعة الأولى سنة 2008

2ـ أركون، محمد. الفكر الإسلامي، ترجمة هشام صالح . مركز الإنماء القومي بيروت الطبعة الأولى 1998

3ـ الجابري ,محمد عابد . التراث والحداثة . دراسات ومناقشات . مركز دراسات الوحدة العربية بيروت . الطبعة الثالثة ماي2002

4ـ الجابري ,محمد عابد . إشكاليات الفكر العربي المعاصر . مركز دراسات الوحدة العربية بيروت . الطبعة الرابعة جوان 2000

5ـ الجابري ,محمد عابد . تكوين العقل العربي . دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـالطبعةالاولى1984

6ـ الجابري ,محمد عابد، نحن والتراث . المركز الثقافي العربي . الطبعة السادسة . سنة1993

7ـالجابري,محمد عابد ـ التراث والمنهج,الدار البيضاء دار توبقا ,الطبعة الثانية 2003

8ـ الجابري، محمد عابد ـ مناقشات ندوة ابن رشد ودراسته في المغرب العربي,بيروت المؤسسة العربية للنشر والتوزيع الطبعة الثانية 2002

9ـ عبد اللطيف, كمال . التراث والنهضة قراءات في أعمال الجابري, مركز دراسات الوحدة العربية بيروت2004

10ـ رحمون سحنون, علي, إشكاليات التراث والحداثة في الفكر العربي . منشأة المعارف2007

11 ـ القرء آن الكريم , سورة الأحزاب الآية 36

- **المقالات:**

- 1. احمد محمد السالم , مقال بعنوان قرآة الجابري للعقل العربي أثر الاستشراق عليها المجلة العربية ,العدد508 بتاريخ .20122202 .